

أضواء البيان

@ 436 هنا ، وتعريفه وإضافته في أول سورة الحج في الكلام على قوله تعالى : { ثُمَّ نَذَرُكُمْ طِفْلاً } ، والمقسم عليه بهذه الأقسام هو قوله : { إِنَّكُمْ تَعِدُّونَ لَهُمْ لَسَادِقٌ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ } ، والموجب لهذا التوكيد هو شدة إنكار الكفار للبعث والجزاء . .

وقوله : { إِنَّكُمْ تَعِدُّونَ } ما ، فيه موصولة والعائد إلى الصلة محذوف ، والوصف بمعنى المصدر أي إن الذي توعده من الجزاء والحساب لصدق لا كذب فيه . .

وقال بعض العلماء : ما ، مصدرية ، أي إن الوعد بالبعث والجزاء والحساب لصادق . .

وقال بعضهم : إن صيغة اسم الفاعل في لصادق بمعنى اسم المفعول . أي إن الوعد أو الموعد به لمصدق فيه لا مكذوب به ، ونظير ذلك قوله تعالى : { فِي عَيْشَةٍ رَّاضِيَةٍ } أي مرضية . وما تضمنته هذه الآية الكريمة من صدق ما يوعدهونه جاء في آيات كثيرة كقوله تعالى : { إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ } . وقوله : { إِنَّكُمْ تَعِدُّونَ لَهُمْ لَأَتَيْنَهُمْ لُؤْلُؤًا مِثْلَ مَا كَانُوا يَعِدُونَ } والآيات بمثل ذلك كثيرة معلومة . .

والمراد بالدين هنا الجزاء ، أي وإن الجزاء يوم القيامة لواقع لا محالة كما قال تعالى { يَوْمَ مَنذُورٌ يُؤَفَّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقُّ } أي جزاءهم بالعدل والإنصاف ، وكقوله تعالى : { وَأَنَّهُ سَعِيدٌ سَوَّافٌ يُرَى ثَمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى } . .

وقد نزه الله نفسه عن كونه خلق الخلق لا لبعث وجزاء ، وبين أن ذلك ظن الكفار ، وهددهم على ذلك الظن السيء بالويل من النار ، قال تعالى منكراً على من ظن عدم البعث والجزاء ، ومنزهاً نفسه عن أنه خلقهم عبثاً لا لبعث وجزاء : { أَفَحَسِبْتُمْ أَن تُدَّخَلُوا خَلْقَ قَوْمٍ عِثْنَا وَأَنزَلْنَاهُمْ إِلَّا نُنَازِلُكُمْ تَارَةً أُخْرَى فَنُصَبِّحُهم بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ } وقال تعالى : { وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ } ، في قوله في آية في ص هذه : باطلاً أي عبثاً لا لبعث وجزاء . قوله تعالى : { وَالسَّمَاءَ ذَاتِ الْأُفُوكِ } لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلَفٍ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفُكَ .